في الظروف المعروفة، فإن الشعب الفلسطيني لم يبد بالرغم من تعرضه لكارثة ماحقة. ولم تنطفىء، إلى الأبد، قدراته النضالية، كما تمنى خصومه كافة. وبعد مضيّ ثماني سنوات كان فدائيون فلسطينيون يتسللون باسلحتهم من قطاع غزة ويثيرون الرعب داخل اسرائيل القوية الحصينة.

ومن اجل ان تتوسع اسرائيل، ولكي توقف غارات الفدائيين الفلسطينيين، وفي ظروف دولية بدت مواتية لها، شنت اسرائيل، الاشتراك مع بريطانيا وفرنسا، العدوان الثلاثي، شعلة الحرب العربية الاسرائيلية الثانية، واحتلت قطاع غزة، فضلاً عن سيناء، واقصت الجيش المصري إلى غربي قناة السويس. وظنت اسرائيل انها بهذا ظفرت بالجائزة الكبرى. غير أنها ارغمت على الانسحاب من سيناء ومن القطاع. والأهم من هذا ان تجربة المقاومة الشعبية الفلسطينية في القطاع، هي التي افرزت بدايات تشكيل المنظمات الفلسطينية الفدائية، التي اخذت تتبلور بعد سنتين فقط من عدوان عام ١٩٥٦، وان ما خلفه العدوان الثلاثي من خبرات وعظات هو الذي امّن قيام منظمة التحرير الفلسطينية، بعد ثماني سنوات من وقوع العدوان، وفتح الطريق أمام الانطلاقة الواسعة لابراز الكيان الوطني الفلسطيني من جديد ولقيام مؤسساته السياسية والعسكرية.

وفي العام ١٩٦٧، كان العمل الفلسطيني المسلح قد بدأ منذ عامين. ولكي تقضي اسرائيل على هذا العمل، ولكي تضرب القاعدة الوطنية الفلسطينية التي يستند إليها، ولكي تزعزع العمق العربي الذي يحتويه، ولكي تتوسع، شنت اسرائيل عدوان حزيران والحقت هزيمة ماحقة بثلاثة جيوش عربية بكاملها، ووضعت كل فلسطين، بالإضافة إلى سيناء والجولان، تحت سيطرتها المباشرة. وتوهمت اسرائيل أنها ظفرت بالجائزة الكبرى، حين اصبح نصف الشعب الفلسطيني في قبضتها، ونصفه الآخر موزعاً على الدول العربية المهزومة في الحرب.

ولكن الأمر هذه المرة، لم يقتض سوى اشهر قليلة، لكي ينطلق العمل الفدائي انطلاقته الكبرى، ولكي يتعزز وجود منظمة التحرير الفلسطينية بانتقال قيادتها إلى ايدي حملة البنادق، ولكي يرسخ الكيان الوطني الفلسطيني وجوده السياسي والعسكري في دنيا العرب، وفي الأراضي المحتلة أيضاً.

وحين استلم النظام الأردني زمام المبادرة لزعزعة هذا الكيان، وبلغ الصراع معه ذروته في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٠، ومع ان المبادرة الأردنية لقيت الدعم السياسي والعسكري من اسرائيل، ومن دول الغرب التي تحمي اسرائيل، ومع ان منظمة التحرير الفلسطينية تعرضت في ايلول وبعدها لنكسة كبيرة، ومع أن أطرافاً عربية هي التي ادارت الحرب على المنظمة هذه المرة، فان هذا كله لم يقدم رأس الشعب العربي الفلسطيني لاسرائيل، ولم يزعزع مسيرة تأكيد كيانه الوطني لا في قليل ولا في كثير. بل ان حرب ايلول، بالذات، هي التي اسهمت في رفع الأمور، عربياً ودولياً، في اتجاه الاعتراف الواسع بشرعية هذا الكيان، وبشرعية تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية له، وهي التي حسمت على الساحة الفلسطينية أيضاً مواقف المترددين، وجعلت راية المنظمة الراية الوحيدة المعترف بها فوق هذه الساحة.

ولم يأت زمن الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة، في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣، الا وكانت منظمة التحرير قد اصبحت ذلك الطرف السياسي والعسكري الذي يحقق حضوره الكبير على ساحة الصراع العربي ـ الصهيوني، بامتداداته المحلية والعربية والدولية. ومع ان جيوشاً